المادة / المدخل الى دراسة علم التفسير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية العلوم الاسلامية

للمرحلة الاولى /قسم علوم القران والتربية الاسلامية /الكورس الثاني

أ٠د شاكر محمود مهدي العزاوي

أ٠د عبد الجبار عبد الوهاب سعود الدليمي

م٠م ستار شكر صالح

للعام الدراسي (٢٠٢٤/٢٠٢٥)

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ،واصلي واسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله الطيبين الطاهرين واصحابه الغر الميامين

اما بعد

فإن " العلوم وإن تباينت أصولها، واختلفت أحوالها. وتنوعت أبوابها. وتغايرت مسائلها. وأيمنت وأيسرت وسائلها، فهي بأسرها مهمة ومعرفتها على العلات نعمة. إلا أن أعلاها قدرا، وأغلاها مهرا وأسناها مبنى، وأسماها معنى وأدقها فكرا وأرقها سرا، وأعرقها نسبا وأعرفها أبا وأصحها دليلا وأفصحها نطقا. وأمنحها رفقا العلوم الدينية. فهي شمس ضحاها وبدر دجاها وخال وجنتها ولعس شفتها ودعج عيونها" [1]

وان علم التفسير هو احد هذه العلوم وهو من " أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق، وأرفعها قدرا بالاتفاق، وهذه الأشرفية لهذا العلم غنية عن البرهان، قريبة إلى الأفهام والأذهان، يعرفها من يعرف الفرق بين كلام الخلق والحق " [2]، ولقد صدق رسول الله صلّى الله عليه واله وسلم حيث يقول :«فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه» [3]

هذه صفحات طيبة كتبتها لطلبة المرحلة الاولى قسم علوم القران والتربية الاسلامية وهي من المواد الاساسية والمهمة والتي تعد مدخلا اساسيا لعلم التفسير ،فلا يخفى على كل باحث ان علم التفسير له قواعد واصول ،وتتوقف سلامة التفسير وصحته على مدى احاطة المفسر بها وان الله تعالى عندما انزل القران انزله لكي يفهم فهما صحيحا قال الطبري "إِنّي لأعجبُ مَنْ قرأ القرآن ولم يعلَم تأويلَه، كيف يلتذُّ بقراءته" [4]

---

[1] - روح المعاني(١/ ٣)
[2] - فتح القدير للشوكاني (١/ ١٣)
[3] - سنن الترمذي (٥/ ١٨٤) ،رقم (٢٩٢٦)،هذا حديث حسن غريب
[4] - تفسير الطبري (١/ ١٠)

فمعرفة هذه الاسس والاحاطة والعناية بها من اعظم ما ينبغي ان يطلع عليه طالب العلم الشرعي والمتخصص في التفسير وعلوم القران ،وهذا يدل دلالة قاطعة على ان علم التفسير من العلوم المتجددة قال الزركشي (ت:٧٩٤) " الْعُلُومُ ثَلَاثَةٌ عِلْمٌ نَضِجَ وَمَا احْتَرَقَ وَهُوَ عِلْمُ الْأُصُولِ وَالنَّحْوِ وَعِلْمٌ لَا نَضِجَ وَلَا احْتَرَقَ وَهُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ وَالتَّفْسِيرِ وَعِلْمٌ نَضِجَ وَاحْتَرَقَ، وَهُوَ عِلْمُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ"[٥]

مفردات مادة المدخل الى علم التفسير حسب التحديث الوزاري :

التعريف بلفظتي التفسير والتأويل لغة واصطلاحا، الفرق بين التفسير والتأويل ،اهمية علم التفسير والحاجة اليه ،الجذور التاريخية لنشأة علم التفسير ،ادأب التفسير ،العلوم التي يحتاج اليها المفسر ،المنهج الذي يجب على المفسر انتهاجه ،اقسام التفسير عند القدامى والمحدثين ،وان شاء الله تعالى سنتحدث عن هذه المفردات بالتفصيل ٠

المصادر والمراجع المساعدة في كتابة هذه الصفحات :

١- **الاتقان في علوم القران للسيوطي لمحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(ط/ ١٩٧٤ م)**
٢- **اصول التفسير وقواعده د٠ خالد عبد الرحمن العك ،دار النفائس (ط/٢/١٩٨٦)**
٣- **البرهان في علوم القران للزركشي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط/١/ ١٩٥٧ م) الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه**
٤- **البيان في تفسير القران للسيد الخوئي (ط/٨/١٩٨١)منشورات انوار**
٥- **التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب الاستاذ المحقق محمد هادي معرفة ،الناشر الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية (ط/٢)مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة**
٦- **علوم القران للسيد محمد باقر الحكيم (ط/٤)**

[٥] المنثور في القواعد الفقهية (١/ ٧٢)

٧- المبادئ العامة لتفسير القران الكريم للدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي بيروت(ط/١/٢٠٠٠)

المحاضرة الاولى

التعريف بلفظتي التفسير والتأويل لغة واصطلاحا، الفرق بين التفسير والتأويل

التفسير لغة :"(فسر)الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه"[٦] ، والفَسْرُ: " الْبَيَانُ. فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكَسر، ويفْسُرُه، بِالضَّمِّ، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ ،الفَسْرُ: كَشْفُ المُغَطّى، والتَّفْسير كَشف المُراد عَنِ اللَّفْظِ المُشْكل، واسْتَفْسَرْتُه كَذَا أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لِي "[٧]

وقيل أن التفسير مأخوذ من مقلوب لفظه ٠تقول العرب " سَفَرَتِ المرأة عن وجهها: إذا كشفته وأظهرته. ويقال للمِكْنَسَة: مِسْفَرَة؛ لأنها تكشف التراب عن الموضع وتزيله. وكذلك يقال: قد سَفَرَ الرجل بيته يسفره سَفْراً: إذا كنسه وإنما سمي السفر سفراً، لأنّه يُسْفِرُ عن أخلاق الرجال، أي: يكشفها ويوضحها."[٨]. قال الالوسي " والقول بأنه مقلوب السفر مما لا يسفر له وجه" [٩] ،وعلق الدكتور محمد حسين علي الصغير على القلب الحاصل في مادة التفسير من تقديم السين على الفاء ويرى انه مستعمل ومطرد في اللغة والاشتقاق كما يقولون (جذب ،وجبذ)وسواء أكان اللفظ على سلامته أم كان مقلوبا ،فالدلالة فيه واحدة في اللغة ،تعني كشف المغلق ،وتيسير البيان، "والاظهار من الخفي الى الجلي ،ومن المجمل الى المبين[١٠]

---

[٦] - معجم مقاييس(٤/ ٤٠٢)،مادة (فسر)،وينظر: العين(٧/ ٢٤٧، ٢٤٨)،ومجمل اللغة لابن فارس ص:(٧٢١)

[٧] - لسان العرب (٥/ ٥٥)،وينظر : تاج العروس(١٣/ ٣٢٣ ،٣٢٤)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(٢/ ٧٨١)،مادة (فسر)

[٨] الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٤٧)

[٩] تفسير الألوسي = روح المعاني (١/ ٥)

[١٠] المبادئ العامة لتفسير القران الكريم بين النظرية والتطبيق للدكتور محمد حسين علي الصغير (ص:١٧)

وقيل أنه مأخوذ من "التَّفْسِرةُ: اسمٌ للبَوْل الَّذِي يَنظُر فِيهِ الْأَطِبَّاء يَستدِلون بلوْنه على عِلّة العليل وكلُّ شَيْء يُعْرَف بِهِ تَفْسِير الشَّيْء وَمَعْنَاهُ فهو تفسرته "[11] ، فكذلك المفسّر ينظر في الآية لاستخراج حكمها ومعناها والسبب الذي نزلت فيه[12]

وقال أبو حيان : " ويْطَلِقُ التَّفْسِيرُ عَلَى التَّعْرِيَةِ لِلِانْطِلَاقِ. قَالَ ثَعْلَبٌ: تَقُولُ فَسَّرْتُ الْفَرَسَ عَرَّيْتُهُ لِيَنْطَلِقَ فِي حَصْرِهِ، وَهُوَ رَاجِعٌ لِمَعْنَى الْكَشْفِ، فَكَأَنَّهُ كَشَفَ ظَهْرَهُ لِهَذَا الَّذِي يُرِيدُهُ مِنْهُ مِنَ الْجَرْيِ "[13]

ويظهر لنا من خلال ما تقدم إن التفسير في اللغة هو الكشف ،والبيان ،والإظهار ،والإيضاح نقول فسَّر الأمرَ: وضّحه، شرحه، أبانه، وضعه في صورة أبسط "فسَّر الشِّعر، القانون ،الحُلْم ، فسَّر آيات القرآن الكريم: شرحها ووضَّح ما تنطوي عليه من معان وأسرار وأحكام

إن تصريفات واشتقاقات كلمة (الفسر)،تقوم على :الكشف، والبيان ، والتوضيح ،والإظهار، ومعنى(تفسير الكلام)بيان معناه ،وإظهاره وتوضيحه ،وإزالة الإشكال واللبس عنه ،والكشف عن المراد منه ، وجاء في القران قوله تعالى : (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً)[14] ،جاء في تفسير البغوي في تفسير الآية: " وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً، يعني بيانا وتفصيلا "[15]

التفسير في الاصطلاح :

لقد تعددت تعاريف العلماء في معنى التفسير في الاصطلاح وتباينت ألفاظهم كلٌ بما أداه إليه اجتهاده وفهمه، ولكنهم متقاربون في المعنى والهدف.وقد اختلفت عبارات المعرفين لمصطلح التفسير ،وكان فيها توسع أو اختصار وفيما يلي عرض لتلك التعريفات ٠

الرأي الاول: "ويمثله الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠)،ويتابعه عليه الزركشي (ت:٧٩٤)،ويفصله السيوطي (ت:٩١١)فالتفسير عند الطوسي علم معاني القران ،وفنون أغراضه من القراءة ،والمعاني ،والاعراب

---

[11] تهذيب اللغة (١٢/ ٢٨٣)

[12] ينظر : تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١/ ٨٦)

[13] - البحر المحيط في التفسير(١/ ٢٦)

[14] - سورة الفرقان الآية :(٣٣)

[15] - تفسير البغوي (٣/ ٤٤٥)، وهذا التفسير مروي عن ابن عباس، والضحاك ،ومجاهد، ينظر : تفسير الطبري (١٩/ ٢٦٧)والجامع لأحكام القرآن(١٣/ ٢٩)،تفسير ابن عطية (٤/ ٢١٠)

،والكلام على المتشابه ،والجواب عن مطاعن الملحدين فيه وأنواع المبطلين"[١٦]

اما عند الزركشي ت(٧٩٤) فقال : " التَّفْسِيرُ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ والـه وَسَلَّمَ وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ وَاسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ "[١٧]

الرأي الثاني :ما بينه ولخصه أبو حيان (ت:٧٤٥) فقال : " التَّفْسِيرُ: عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَمَدْلُولَاتِهَا، وَأَحْكَامِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةُ التَّرْكِيبِ، وَتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ. فَقَوْلُنَا عُلِمٌ هُوَ جِنْسٌ يَشْمَلُ سَائِرَ الْعُلُومِ. وَقَوْلُنَا يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ هَذَا هُوَ عِلْمُ الْقِرَاءَاتِ. وَقَوْلُنَا وَمَدْلُولَاتِهَا، أَيْ مَدْلُولَاتِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ، وَهَذَا هُوَ عِلْمُ اللُّغَةِ الَّذِي يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْعِلْمِ. وَقَوْلُنَا وَأَحْكَامِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ هَذَا يَشْمَلُ عِلْمَ التَّصْرِيفِ، وَعِلْمَ الْإِعْرَابِ، وَعِلْمَ الْبَيَانِ، وَعِلْمَ الْبَدِيعِ، وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةُ التَّرْكِيبِ شَمِلَ بُقُولِهِ الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا مَا لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ بِالْحَقِيقَةِ، وَمَا دَلَالَتُهُ عَلَيْهِ بِالْمَجَازِ، فَإِنَّ التَّرْكِيبَ قَدْ يَقْتَضِي بِظَاهِرِهِ شَيْئًا، وَيَصُدُّ عَنِ الْحَمْلِ عَلَى الظَّاهِرِ صَادٌّ، فَيَحْتَاجُ لِأَجْلِ ذَلِكَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى غَيْرِ الظَّاهِرِ، وَهُوَ الْمَجَازُ. وَقَوْلُنَا، وَتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ، هُوَ مَعْرِفَةُ النَّسْخِ، وَسَبَبِ النُّزُولِ، وَقِصَّةٍ تُوَضِّحُ بَعْضَ مَا انْبَهَمَ فِي الْقُرْآنِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ "[١٨]

يلاحظ أن ابا حيان ادخل في التعريف المفاتيح والعلوم التي لا يمكن أن يفهم به القران الا من خلالها كعلم القراءات ،وعلم اللغة والتصريف وعلوم البلاغة ،وغيرها

الرأي الثالث: ويمثله كل من الطبرسي ،والفناري ،من القدامى ويختاره من المتأخرين محمد عبد العظيم الزرقاني اما الطبرسي فقد عرف التفسير اصطلاحا فقال "التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل "[١٩]

اما تعريف الزرقاني للتفسير فهو "علم يبحث فيه عن القران الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية "[٢٠]،وقد استحسن

---

[١٦] ينظر التبيان في تفسير القران للطوسي (١/٢-٣)

[١٧] - البرهان في علوم القرآن (١/ ١٣)،وينظر : مباحث في علوم القرآن لمناع القطان :(٣١٧)

[١٨] - البحر المحيط في التفسير(١/ ٢٦)

[١٩] مجمع البيان للطبرسي(١٣/١)

الدكتور محمد حسين علي الصغير هذا التعريف فقال "وتعريف الزرقاني قد يكون أقرب تعريف الى طبيعة الدلالة الاصطلاحية للتفسير ففيه تحديد لمفهوم المصطلح العلمي للتفسير وحصر ارادته الفنية عليه ،وتقييده بقدر الطاقة البشرية لا يخلو من دقة علمية ،وفيه بعد نظر وأصابة "[٢١]

المحاضرة الثانية

التأويل في اللغة والاصطلاح

التأويل في اللغة: مأخوذ من الأول وهو الرجوع، يقال "آل إليه أولاً ومآلا: رجع، وعنه: ارتد ... وأوَّل الكلام تأويلاً وتأوَّله: دبَّره وقدَّره وفسَّره، والتأويل: عبارة الرؤيا" [٢٢]

قَالَ الْخَلِيلُ: الْأَيِّلُ الذَّكَرُ مِنَ الْوُعُولِ، وَالْجَمْعُ أَيَائِلُ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَيِّلًا لِأَنَّهُ يَؤُولُ إِلَى الْجَبَلِ وينتهي أليه لِيَتَحَصَّنُ فيه [٢٣]

وقيل: التأويل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، فكأن المؤوِّل يسوس الكلام ويضعه في موضعه يقال "آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة، وأتالها وهو مؤتال لقومه مقتال عليهم "[٢٤]

التأويل في الاصطلاح

اختلف العلماء في تعريف التأويل في الاصطلاح إلى أقوال عدة وعلى النحو الآتي:

عرفه البغوي ت(٥١٠) فقال :"التَّأْوِيلُ وَهُوَ صَرْفُ الْآيَةِ إِلَى مَعْنًى مُحْتَمَلٍ موافق ما قبلها وَمَا بَعْدَهَا غَيْرِ مُخَالِفٍ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ طَرِيقِ الِاسْتِنْبَاطِ "[٢٥]،وهذا ما رجحه الدكتور عبد الستار حامد فقال: "ولو تأملنا

---

[٢٠] مناهل العرفان (٤٧١/١)

[٢١] المبادئ العامة لتفسير القران الكريم للدكتور محمد الصغير (ص:١٩)

[٢٢] - القاموس المحيط ص:(٩٦٣) ،وينظر : المعجم الوسيط (١/ ٣٣)،مادة (أول)

[٢٣] - ينظر :مقاييس اللغة(١/ ١٥٨)،مادة (أول)بتصرف ، تهذيب اللغة (١٥/ ٣١٤)

[٢٤] - أساس البلاغة(١/ ٣٩) ،مادة (أول)

[٢٥] - تفسير البغوي - إحياء التراث (١/ ٦٧ ،٦٨)،وهذا ما ذهب إليه أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ وَالْبَغَوِيُّ وَالْكَوَاشِيُّ وَغَيْرُهُمْ: التَّأْوِيلُ صَرْفُ الْآيَةِ إِلَى مَعْنًى مُوَافِقٍ لِمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا تَحْتَمِلُهُ الْآيَةُ غَيْرِ مُخَالِفٍ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ طَرِيقِ الِاسْتِنْبَاطِ " البرهان في علوم القرآن(١٤٩/٢، ١٥٠)

في هذه التعريفات لوجدنا تعريف البغوي أسهلها تعبيرا ويسرها فهما ،وانه لابد للمؤول الماهر إذا أراد التأويل السليم أن يستخدم فكره ويعمل عقله في الآية لاستنباط المعاني التي تحتملها في حدود الكتاب والسنة واللغة وإلا فقد عرض نفسه للوقوع في الأخطاء وارتكاب الإثم "[٢٦]

وعرفه الطبرسي :ت(٥٤٨)فقال "التأويل رد احد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر "[٢٧]

وعرفه الزركشي ت(٧٩٤)فقال " التَّأْوِيلَ صَرْفُ الْآيَةِ إِلَى مَا تَحْتَمِلُهُ مِنَ الْمَعَانِي"[٢٨]

الفرق بين التفسير والتأويل

اختلف العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل، وفى تحديد النسبة بينهما اختلافاً نتجت عنه أقوال كثيرة، وكأن التفرقة بين التفسير والتأويل أمر معضل استعصى حله على كثير من الناس إلا مَن سعى بين يديه شعاع مِن نور الهداية والتوفيق، ولهذا بالغ الْإِمَامُ أَبُو القاسم محمد بْنُ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فقال:" وَقَدْ نَبَغَ فِي زَمَانِنَا مُفَسِّرُونَ لَوْ سُئِلُوا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ مَا اهْتَدَوْا إِلَيْهِ لَا يُحْسِنُونَ الْقُرْآنَ تِلَاوَةً وَلَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى السُّورَةِ أَوِ الْآيَةِ مَا عِنْدَهُمْ إِلَّا التَّشْنِيعُ عِنْدَ العوام والتكثير عند الطعام لِنَيْلِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْحُطَامِ أَعْفَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْكَدِّ وَالطَّلَبِ وَقُلُوبَهُمْ مِنَ الْفِكْرِ وَالتَّعَبِ لِاجْتِمَاعِ الْجُهَّالِ عَلَيْهِمْ وَازْدِحَامِ ذَوِي الْأَغْفَالِ لَدَيْهِمْ يَدْرُسُونَ بِاللَّيْلِ صَفْحًا وَيَحْكُونَهُ بِالنَّهَارِ شَرْحًا إِذَا سُئِلُوا غَضِبُوا وقد قيل

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَتْهُ شَوَاهِدُ الِامْتِحَانِ "[٢٩]

وليس بعيداً أن يكون منشأ هذا الخلاف، هو ما ذهب إليه الأستاذ أمين الخولي حيث يقول: وأحسب أن منشأ هذا كله، هو استعمال القرآن لكلمة التأويل، ثم ذهاب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب

---

[٢٦] - مباحث في علم التفسير(١٧)

[٢٧] -مجمع البيان (١٣/١)

[٢٨] - البرهان في علوم القرآن(٢/ ١٤٨)،وجاء في البصائر " وأَمَّا التأْويل فصرف معنى الآية بوجه تحتمله الآية، ويكون موافقا لما قبله، ملائماً لما بعده" بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(١/ ٧٩)

[٢٩] - البرهان في علوم القرآن(٢/ ١٥٢)

وفيما يلي عرض لأهم أقوال المفسرين في بيان الفرق بين التفسير والتأويل

اولا : قال أبو عبيدة ت(٢١٠) وطائفة معه. أن التفسير والتأويل بمعنى واحد [٣٠] ،وهذا منقول عن علماء اللغة ،قال :"ابْن الْأَعرَابِي :ت (٢٣١) التَّفْسِير والتأويل، وَالْمعْنَى وَاحِد"[٣١]،وقال :"ثَعْلَبٌ :ت(٢٩١) "التَّفْسيرُ والتَّأويلُ واحدٌ" "[٣٢] ، وعلى هذا فالنسبة بينهما هي التساوي عند علماء اللغة وكذلك يرى الطبري [٣٣]

وما ذهب إليه علماء اللغة يدل على أن التفسير والتأويل مصطلحان مترادفان ٠٠٠وهذا قول مردود ،لان التفسير والتأويل مصطلحان قرآنيان ،ولابد من فرق بينهما لأنه لا ترادف بين كلمات القران الكريم

ثانيا :وقَالَ الْمَاتُرِيدِيُّ ت(٣٣٣) :" التَّفْسِيرُ الْقَطْعُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ اللَّفْظِ هَذَا، وَالشَّهَادَةُ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ عَنَى بِاللَّفْظِ هَذَا، فَإِنْ قَامَ دَلِيلٌ مَقْطُوعٌ بِهِ فَصَحِيحٌ، وَإِلَّا فَتَفْسِيرٌ بِالرَّأْيِ، وَهُوَ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ، وَالتَّأْوِيلُ تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمُحْتَمِلَاتِ بِدُونِ الْقَطْعِ وَالشَّهَادَةُ عَلَى اللَّهِ"[٣٤] ،فالتفسير عند الماتريدي لا يحتمل الا معنى واحد ،والتأويل يحتمل معان عدة

ثالثا :وقال الراغب الاصفهاني ت (٥٠٢)في تفسيره " والتفسير أَعَمُّ مِنَ التَّأَوُّلِ ،وَأَكْثَرُ ما يستعمل التفسير فِي الْأَلْفَاظِ ،والتَّأْوِيلِ: فِي الْمَعَانِي كَتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا، والتأويل: يُسْتَعْمَلُ أَكْثَرُهُ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ وَالتَّفْسِيرُ يُسْتَعْمَلُ فِيها وفي غَيْرِهَا " [٣٥]

رابعا : قَالَ أَبُو نَصْرٍ الْقُشَيْرِيُّ ت(٥١٤): وَيُعْتَبَرُ فِي التَّفْسِيرِ الِاتِّبَاعُ وَالسَّمَاعُ وَإِنَّمَا الِاسْتِنْبَاطُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّأْوِيلِ "[٣٦]

خامسا :وقال الفيروز أبادي ت(٨١٧)في تفسيره" والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير هو البحث عن سبب نزول الآية، والخوض في بيان

---

[٣٠] - ينظر مجاز القران (١/ ١٨)،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(١/ ٥)

[٣١] - تهذيب اللغة(١٢/ ٢٨٣)،وينظر :لسان العرب(٥/ ٥٥)،تاج العروس(١٣/ ٣٢٣)

[٣٢] - القاموس المحيط ص:(٤٥٦)

[٣٣] ينظر :علوم القران للسيد محمد باقر الحكيم:(٢٢٦)

[٣٤] - ينظر: تفسير الماتريدي(٣٤٩/١) ،وينظر : تفسير الألوسي = روح المعاني(١/ ٦)

[٣٥] - تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ١١)

[٣٦] - البرهان في علوم القرآن(٢/ ١٤٩ ، ١٥٠)

موضع الكلمة، من حيث اللغة. والتأويل هو التفحُّص عن أَسرار الآيات، والكلمات، وتعيين أَحد احتمالات الآية"[٣٧]

سادسا :وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ الثعالبي ت(٨٧٥) في تفسيره:" التَّفْسِيرُ بَيَانُ وَضْعِ اللَّفْظِ إِمَّا حَقِيقَةً، أَوْ مَجَازًا، كَتَفْسِيرِ الصِّرَاطِ: بِالطَّرِيقِ وَالصَّيِّبِ: بِالْمَطَرِ وَالتَّأْوِيلُ تَفْسِيرُ بَاطِنِ اللَّفْظِ "[٣٨]

سابعا :اورد الدكتور محمد حسين علي الصغير ملمحا اخر بين فيه دلالة الفرق بين التفسير والتأويل فقال "أن التفسير ما ورد من تعليل الظواهر ،وكشف الالفاظ ،مأثورا عن المعصوم بحيث يطمئن بصحته ،ويحقق دلالة لفظ القران على المعنى المراد ،فان لم يؤثر به شيء عن المعصوم ،فما دلت عليه اللغة وأيدته موافقات الشرع الشريف ،وأما التأويل فهو ما لم يكن مقطوعا به وكان مرددا بين عدة وجوه محتملة فيؤخذ بأقواها حجة ،أبرمها دليلا ،فيوجه على المعنى على اساس الفهم ،واللغة وأعمال الفكر ويرى الدكتور محمد أن التفسير ما كانت دلالته قطعية وأن التأويل ما كانت دلالته ظنية وعليه فان التأويل اذا كان صادرا عن المعصوم فيعود التأويل تفسيرا لأنه يكشف عن مراد الله تعالى في كتابه "[٣٩]

ثامنا :ويرى محمد هادي معرفة أن التفسير بيان المعاني من حيث الظاهر ،والتأويل بيان المعاني من حيث الباطن [٤٠]

والخلاصة التفسير يعتمد على الاطلاع والمعرفة ،والقراءة والرواية ،والتأويل علم يفتح الله به على أصحابه ،وفهم يؤتيه الله لهم ،ويعتمد على الموهبة والملكة والتدبر ،وهذا لا يتحقق في كل مفسر ،وكل مؤول لابد أن يكون مفسر ليصح تأويله ،ولا يستطيع كل مفسر أن يكون مؤولا أي كل مؤول مفسر ،وليس كل مفسر مؤولا

---

[٣٧] - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(١/ ٨٠)

[٣٨] - الجواهر الحسان في تفسير القرآن(١/ ٤٥) ،وقد ذكر الدكتور خالد العك بعض تلك الاقوال في الفرق بين التفسير والتأويل ولم يرجح ويبين رايا في ذلك بل اكتف بالنقل فقط ينظر :ص(٥٣)

[٣٩] المبادئ العامة لتفسير القران بين النظرية والتطبيق للصغير (ص٢٣)

[٤٠] ينظر :التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب للسيد محمد هادي معرفة (٢٢/١)

المحاضرة الثالثة

اهمية علم التفسير والحاجة اليه

اولا : اهمية علم التفسير واهم ممتاز به القران من سمات

للتفسير اهمية بالغة بين العلوم فهو من اجل العلوم على الاطلاق واعلاها مرتبة بالاتفاق قال الطبرسي (ت:٥٤٨) في تفسيره "مجمع البيان": "علم التفسير هو أجلّ العلوم قدراً لأنه الموصل إلى فهم مراد الله من كتابه، ومعرفة أحكام الله من وحيه، وما فرضه على عباده، وهذه الغاية كما لا يخفى هي أشرف الغايات، وأحسن الطرق لنيل السعادات" [٤١]

فعن الامام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم "ما أنعم الله على عبد بعد الايمان بالله أفضل من العلم بكتاب الله ومعرفة تأويله "[٤٢] ،ومن البديهي أنه لا يمكن الوصول الى ظاهر القران وبطونه ،ونجومه ،وعجائبه وغرائبه ،وهدايته ،وحكمته ،الا بفهم القران وتفسيره [٤٣]

والقران باعتباره كتاب هداية وتشريع دولة ،له ملامح خاصة به ،وسمات متعددة يتميز بها ،يمكن الاشارة الى بعضها بالمعالم الاتية :

١- انه كتاب الهي صادر عن الغيب
٢- انه معجزة تحدى بها الله الامم والشعوب والقبائل بما جاءت به من حسن النظم والتأليف ،وبلاغة الفن القولي ،وكشف الغيب عن المجهول ،وابانة الشرائع والاحكام ،وسرد قصص وأحاديث الماضين وانبائه عما وقع وسيقع من الاحداث
٣- ان العمل به يمتد منذ نزوله الى يوم القيامة دون ريب أو تردد فحلال محمد صلى الله عليه واله وسلم حلال الى يوم القيامة ،وحرامه حرام الى يوم القيامة فليس لاحد أن يضيف له ما ليس فيه أو يحذف منه ما هو فيه

---

[٤١]- مجمع البيان(٣/١)، وينظر: فتح القدير(١٧/١)
[٤٢] بحار الانوار للمجلسي (٢١٧/١)
[٤٣] قواعد التفسير محمد فاكر (ص:١٢)

٤- انه وان كان عربي النص ،الا أنه عالمي الدلالة ،ولا يختص بأمة دون أخرى ،ولا بزمن دون الازمان ،فتعدى بذلك حدود الزمان والمكان ،وتخطى المناخ والتاريخي والاقليمي بحياة الانسانية ليستوعبها كلها

٥- انه نزل بلغة يحتمل لفظها الواحد ،أو أكثر الفاظها ،أكثر من معنى ،وأشمل من تفسير ،مما فتح حياة متميزة في العقلية اللغوية ،اتسعت لكثير من الاجتهادات والمعارف

٦- انه تميز بذائقة اسلوبية ارتفعت به عن مستوى النثر والشعر ،فلا هو نثر على ما تعارفت عليه أصول النثر ،وان اشتمل على أفضلها صياغة ولا هو شعر على ما تحتمه ضرورات الشعر وان ستوعب جميع أوزان الشعر العربي ،بل هو فن قائم بذاته سمي بالقران فهو قرآن وكفى[٤٤]

٧- واضافة الى ما تقدم فان علم التفسير يرتبط ارتباطا مباشرة بالقران فموضوعه هو آيات القران وسوره ،ومما لا شك فيه أن موضوعات القران من اجل الموضوعات ففيه الزواج والطلاق والنفقة والمواريث واحكام الاولاد والاسرة والوصايا والحدود والديات والجروح والقصاص وما تضمنه من عبادات كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها من الواجبات والحقوق ،والعقيدة والاخلاق وتهذيب النفوس ،وسياسة الامة من خلال الاعتصام بحبل الله وعدم التفرقة والتشرذم ،وكذلك الحث على العلم والتعلم لما فيه من تمكين الامة على اعداءها

٨- لذا فان علم التفسير في نظر كافة المسلمين من أشرف العلوم وأرفعها، وهو قد اكتسب شرفه هذا من شرف موضوعه فإن موضوعه كلام الله تعالى، وشرف غرضه فإن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي هي الغاية القصوى، وشرف معلومه ومن جهة شدة الحاجة إليه وذلك لأن كل كمال ديني أو دنيوي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف

---

[٤٤] - المبادئ العامة لتفسير القران الكريم للدكتور محمد علي الصغير (ص:٢٤)

الدينية، وهي بالطبع متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى[٤٥]، وهل هناك موضوع أشرف من موضوع كتاب الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة ومفتاح كل نهضة [٤٦]، يظهر لنا بجلاء لا يقبل الشك ان علم التفسير من العلوم المهمة قال الامام علي عليه السلام "القران ظاهره أنيق ،وباطنه عميق ،لا تفنى عجائبه ،ولا تنقضي غرائبه"[٤٧]

وهنالك نصوص من القران الكريم تدل على الدعوة إلى العناية بتفسير القران والكشف عن معانيه ،ومن ذلك قوله تعالى:(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[٤٨]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ: "أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ"[٤٩]،وقال ابن عباس ايضا الذي يقرأ ولا يفسر كالأعرابي الذي يهذي الشعر، وقال مجاهد أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل، وقال الحسن والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيمن أنزلت وما يعني بها[٥٠]

وما اكثر الاحاديث الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام وعن جدهم الاعظم صلى الله عليه وعلى اله وسلم في فضل تلاوة القران وتفسيره منها :عن الامام الباقر عليه السلام قال :قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرأ عشر آيات في ليله لم يكتب من الغافلين ،ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ،ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين ،ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين ،ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين ،ومن قرأ الف آية كتب له قنطار من تبر [٥١]

---

[٤٥]- ينظر: مفاتيح التفسير(٣٢٦/١)
[٤٦]- ينظر: الإتقان في علوم القرآن(١٧٥/٢)
[٤٧] مجمع البيان للطبرسي (٩/١)
[٤٨] - سورة النساء الآية (٨٢)
[٤٩] - المعجم الكبير للطبراني(١٢/ ١٢٥)
[٥٠] - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٩)
[٥١] البيان في تفسير القران سماحة اية الله العظمى السيد ابو القاسم الخوئي (ص:٢٥) ،ومعنى "تبر: قَالَ اللَّيْث: التِّبْر الذَّهبُ والفِضَّة قبل أَن يُصاغا. قَالَ: وَبَعْضهمْ يَقُول: كلُّ جوهرٍ قبل أَن يستعملَ تِبْرٌ، من النّحاس والصُّفْر" تهذيب اللغة (١٤/ ١٩٦)،مادة (تبر)

حكم التفسير:

وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات [٥٢] في حين ذهب الزمخشري ت (٥٣٨) إلى أبعد من هذا فجعل الخوض في تفسير القرآن فرض عين [٥٣] ،والحق ان حكم التفسير فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين ،ولو قلنا حكمه فرض عين لتساوي في تفسيره الجاهل والعالم وذلك ان علم التفسير علم شاق وصعب لا يتأتى لكل شخص الا من احاط بعلوم ومفاتيح التفسير من علوم الالة

ويكفي علم التفسير شرفا ان الله تعالى خصه بمزيد من العناية فقال: (يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [٥٤] ، عن ابن عباس في قوله ((يُؤتِي الْحِكْمَةَ)) قال: " قيل أنه علم القران ناسخه ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه وأمثاله... وقيل هو الاصابة في القول والفعل ،وقيل هو الفهم وقيل هو خشية الله ،وقيل هو القران والفقه ،وعن أبي عبد الله عليه السلام هو العلم الذي تعظم منفعته ،وتجل فائدته ،وهذا جامع للأقوال " [٥٥]

ثانيا :الحاجة الى التفسير

اولا : من المعلوم أن القران الكريم يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز فربما عسر فهم مراده فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية

ثانيا :قد يحتمل اللفظ اكثر من معنى كدلالة المجاز ،والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وفيه ايضا الاستعارة والكناية وكل هذه المفاهيم بحاجة الى بيان والكشف عن معانيها بتدبر وامعان نظر وتفكر

---

[٥٢] - ينظر: الإتقان في علوم القرآن(١٧٥/٢)
[٥٣] - ينظر: تفسير الكشاف(٨/١)
[٥٤] - سورة البقرة الآية (٢٦٩)
[٥٥] -مجمع البيان في تفسير القران للطبرسي (١٥٨/٢)وينظر :اصول التفسير وقواعده خالد العك (ص:٢٨)

ثالثا: تحدث القران الكريم عن حوادث الامم الغابرة والتي جاءت لغرض العظة والاعتبار الى جانب عادات جاهلية كانت معاصرة عارضها وشدد النكير عليها مثل مسالة النسيء وانها زيادة في الكفر ونهيه عن دخول البيوت من ظهورها ونحو ذلك ولولا الوقوف على هذه الآيات لما امكن فهم معني تلكم الآيات [٥٦]

المحاضرة الرابعة والخامسة والسادسة

الجذور التاريخية لنشأة علم التفسير

من البديهيات ان كل شيء في الوجود لا يكتمل الا اذا مر بمراحل معينة واطوار متتالية ،وتلك سنة من سنن الله في الاشياء جميعا قال تعالى :(فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)[٥٧]، ويصدق على العلوم ما يصدق على الاشياء ،فلم يعرف ان هنالك علما من العلوم وجد كاملا هكذا فجأة ،وانما كل علم مر بمراحل وتطورت حتى صار علما له اصوله واركانه التي يقوم عليها ، ومن العلوم علم التفسير ،هذا العلم الذي شهد تطورات منذ نزول الآيات الاولى من كتاب الله الكريم وحتى يوم الناس هذا ،فبدأ بمرحلة المهد ثم الطفولة ،وتطورت به المراحل حتى استوى على سوقه ،وصار له اصوله واركانه" [٥٨] ،وجدير بمن يتناول علم التفسير ان يقف عند هذه المراحل والتطورات ،لأنها تطورت متلاحقة ومتعانقة في ان واحد ،فلا يمكن فصل مرحلة عن مرحلة ،او اعتماد مرحلة دون اخرى ،والا فقد هذا العلم ركنا من اركانه ،واصلا من اصوله ،ولوقع المفسر في اخطاء جسيمة ،وادخل في تفسيره للآيات غير مراد الله ومقصوده ،ومن ثم فعلى المفسر ان يراعي كل المراحل ،ولا يعتمد مرحلة دون اخرى ،ويراعي في المقام الاول مرحلة التفسير في عهد النبوة ،لأنها الاساس الذي يبنى عليه ما بعده ،ولان النبي هو اعلم الناس بالقران" [٥٩]

مر تفسير القران بعدة مراحل يمكن بيانها من خلال الاتي :

---

[٥٦] التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب هادي معرفة (١٨/١)
[٥٧] - سورة فاطر الآية (٤٣)
[٥٨] - مقدمة محقق تفسير الماتريدي (١٨٦/١)
[٥٩] - نفسه

المرحلة الاولى :مرحلة التكوين

مرحلة التفسير في عهد النبي صلى الله عليه واله وسلم وهي من اهم المراحل التي مر بها علم التفسير وذلك لأنها النواة الاولى لهذا العلم الجليل ،ولا يمكن لنا ان نفهم المراحل اللاحقة الا من خلال معرفة هذه المرحلة والوقوف على ما حوته تلك المرحلة من سمات وخصائص ،ومما لا شك فيه ان البدايات الاولى للتفسير في عهد النبي الكريم كانت منذ نزول الآيات الاولى على قلب النبي الكريم فقد امر الله تعالى نبيه الكريم بتفسير القران وشرح آياته وبيان معانيه فقال تعالى:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٦٠]،وقال ايضا :(وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [٦١] ،"فبمقتضى هذا التكليف الالهي الذي تضمنته هاتان الأيتان استجاب الرسول لنداء ربه ،وشرع يوضح احكام القران للناس وبهذا يعد الرسول اول مفسر للكتاب الكريم وعلى يديه الكريمتين بدأت نشأة التفسير "[٦٢]

فكان الرسول الاعظم صلى الله عليه واله وسلم أول مفسر للكتاب الكريم وعنه نشأ التفسير بالمأثور[٦٣]،وقد اختلف العلماء في المقدار الذى بيَّنه النبي صلى الله عليه واله وسلم من القرآن ، فمنهم مَن ذهب إلى القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيَّن لأصحابه ولامته كل معانى القرآن كما بيَّن لهم ألفاظه ،ومنهم مَن ذهب إلى القول بأن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم يُبيِّن لأصحابه من معانى القرآن إلا القليل، وعلى رأس هؤلاء: الخُوَبي والسيوطي (ت:٩١١)[٦٤] ، والواقع ان الرسول لم يلتحق بالرفيق الاعلى الا وفسر من القران ما احتاج اليه المسلمون من امور الحلال والحرام لان القران يشتمل على احكام لا تفهم على وجهها الصحيح

---

[٦٠] - سورة النحل الآية (٤٤)
[٦١] - سورة النحل الآية (٦٤)
[٦٢] - مباحث في علم التفسير (١٠١)
[٦٣] المبادئ العامة لتفسير القران بين النظرية والتطبيق ، للصغير (ص:١٣٣)
[٦٤] التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب للسيد محمد هادي معرفة (١٥٩/١)

الا بالسنة ولان فيه تشريعات لا يقدم على توضيحها الا هو صلى الله عليه واله وسلم كما في القران عمومات كثيرة تحتاج الى تخصيص "[٦٥]

وقد ذهب السيد محمد هادي معرفة في كتابه القيم التفسير والمفسرون أن النبي الكريم صلى الله عليه واله وسلم بين لأصحابه جميع معاني القران فقال "اذن فالصحيح من الرأي هو أنه صلى الله عليه واله وسلم قد بين لامته ولأصحابه بالخصوص جميه معاني القران الكريم وشرح لهم جل مراميه ومقاصده الكريمة اما بيانا بالنص ،أو ببيان تفاصيل أصول الشريعة وفروعها ولا سيما اذا ضممنا اليه ما ورد عن الائمة عليهم السلام من عترته في بيان تفاصيل الشريعة ومعاني القران "[٦٦] ،وهذا ما قرره السيد محمد باقر الحكيم فقد ذكر أن النبي الكريم صلى الله عليه واله فسر القران على مستويين الاول المستوى العام وهذا يندرج ضمن التفسير الحاجة والمستوى الثاني مستوى خاص تفسيرا شاملا كاملا بقصد ايجاد من يحمل تراث القران ويندمج به اندماجا مطلقا بالدرجة التي تتيح له أن يكون مرجعا بعد ذلك في فهم الامة للقران وضمانا لعدم تأثر الامة في فهمها باطارات فكرية خاصة ومسبقات ذهنية ،أو رواسب جاهلية [٦٧]

المرحلة الثانية :مرحلة التفسير في عهد اهل البيت عليهم السلام والصحابة

ولما انتقل النبي الكريم الى الرفيق الاعلى نهض من بعده لتحمل عبء الدعوة ونشر الدين ال بيت النبي وصحابه الكرام فهم "أفقه الأمة وأبر الأمة قلوبا وأعمقهم وأقلهم تكلفا وأصحهم قصودا وأكملهم فطرة وأتمهم إدراكا وأصفاهم أذهانا الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل فهموا مقاصد الرسول "[٦٨]

فلا شك أن الصحابة كانوا هم مراجع الامة بعد الرسول صلى الله عليه واله وسلم اذ كانوا حاملي لوائه ومصادر شريعته الى الملاء ،ليس يعدل عنهم الى الابد [٦٩]

---

[٦٥] - مباحث في علم التفسير (١٠٣)
[٦٦] التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، للسيد محمد هادي معرفة (١٦٢/١)
[٦٧] علوم القران للسيد محمد باقر الحكيم (ص:٢٥٥)
[٦٨] - إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٧٩)
[٦٩] التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب للسيد محمد هادي معرفة (١٨٢/١)

وبطبيعة الحال لم يكن الصحابة في درجة واحدة في فهم اللغة وادراك اسرارها ،ومن هنا لم يكن الصحابة في درجة واحدة لفهم معاني القران " بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية، وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا، أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وُضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفى معناه على بعض الصحابة، ولا ضَيْر في هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدَّع أحد أن كل فرد من أُمَّة يعرف جميع ألفاظ لغتها"[٧٠]

ولقد كان الامام علي عليه السلام رائد المفسرين بلا منازع قال الدكتور محمد الصغير "وقد أجمع علماء الامة أن عليا أمير المؤمنين عليه السلام هو المرجع الاعظم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كشف تلك الكنوز الثمينة التي اشتمل عليها ، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام "ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية من القران الا أقرأنيها ،وأملاها علي فكتبتها بخطه ،وعلمني تأويلها ،وتفسيرها ،وناسخها ومنسوخها ،ومحكمها ،ومتشابهها ،وخاصها وعامها ،ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها "[٧١]

قال المناوي "قد علم الأولون والآخرون أن فهم كتاب الله منحصر إلى علم علي ومن جهل ذلك فقد ضل عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عنه القلوب الحجاب حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء"[٧٢]

قال السيد محمد السيد علي نقي الحيدري رحمه الله "يشير بقوله (فقد ضل عن الباب)الى قول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم "أنا مدينة العلم وعلي بابها " ويشير بقوله (حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء)الى قول أمير المؤمنين عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا "[٧٣]

---

[٧٠] - المبادئ العامة لتفسير القران بين النظرية والتطبيق (ص:١٣٤)
[٧١] المثل العليا في تراث أهل البيت الحضاري (١٤)
[٧٢] فيض القدير (٣/ ٤٧)
[٧٣] المثل العليا في تراث أهل البيت الحضاري(١٧)

عن أبي الطفيل قال شهدت عليا يخطب وهو يقول (سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل) [٧٤]

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وإن علي بن أبي طالب عليه السلام عنده منه الظاهر والباطن "[٧٥] وأخرج أيضا من طريق أبي بكر بن عياش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي عليه السلام قال والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سئولا"[٧٦]

كان الامام علي عليه السلام بحراً في العلم، وكان قوى الحُجَّة، سليم الاستنباط، أُوتِيَ الحظ الأوفر من الفصاحة والخطابة والشعر، وكان ذا عقل قضائي ناضج، وبصيرة نافذة إلى بواطن الأُمور، وكثيرا ما كان يرجع إليه الصحابة في فهم ما خفى واستجلاء ما أشكل، وقد ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء اليمن، ودعا له بقوله: "اللّهم ثبِّت لسانه واهد قلبه"، فكان مُوفَّقاً ومُسدَّداً، فيصلاً في المعضلات، حتى ضُرِب به المثل فقيل: "قضية ولا أبا حسن لها"، ولا عجب، فقد تربى في بيت النبوة، وتغذَّى بلبان معارفها، وعَمَّته مشكاة أنوارها. روى علقمة عن ابن مسعود قال: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علىّ بن أبى طالب. وقيل لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علىّ؟ قال: لا، والله لا أعلمه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: "إذا ثبت لنا الشيء عن علىّ لم نعدل عنه إلى غيره". والذى يرجع إلى أقضية علىّ رضى الله عنه وخطبه ووصاياه، يرى أنه قد وُهِبَ عقلاً ناضجاً، وببصيرة نافذة، وحظاً وافراً من العلم وقوة البيان"

واختم كلامي بقول مسروق الذي بين فيه علم ومكانة الامام علي عليه السلام فقال "أنتهى العلم الى ثلاثة عالم بالمدينة علي بن ابي طالب

---

[٧٤] الإتقان في علوم القرآن ط الهيئة المصرية العامة(٦/ ٢٣٢٥)

[٧٥] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٦٥)

[٧٦] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٦٨) ، الإتقان في علوم القرآن ط الهيئة المصرية العامة (٦/ ٢٣٢٥)

عليه السلام ،وعالم بالعراق عبد الله بن مسعود ،وعالم بالشام أبي الدرداء ،فاذا التقوا سال عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة وهو لم يسألهم "[٧٧]

المرحلة الثالثة :مرحلة التأصيل

فبعد أن امتد التفسير من النبي واله وأصحابه والتابعين وتابعيهم ،كان ذلك ايذانا بحركة تفسيرية كبرى بلغت حد النضج والاصالة ،وكان طبيعيا أن تتبلور بعض المدارس التفسيرية التي مهدت لحركة التدوين المنظمة فيما بعد ويمكن القاء الضوء على ذلك بما يلي :

- مدرسة مكة ،وكان قوامها أصحاب اصحاب ابن عباس (ت:٦٨)،ومجاهد بن جبير المكي (١٠٣)،وغيرهم ،وكان ابن عباس نفسه قد أخذ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام كما هو منصوص عليه [٧٨]
- مدرسة المدينة ،وكان قوامها ثلاثة من أئمة أهل البيت هم علي بن الحسين زين العابدين ،والامام محمد الباقر ،والامام جعفر الصادق وقد امتازت هذه المدرسة بالعمق والموضوعية
- مدرسة العراق ،وكانت تمثل اتجاهين رئيسيين هما :

أ/ الاتجاه العام ويمثله تلامذة ابن مسعود ومنهم مسروق بن الاجدع (ت:٦٣)،والاسود بن يزيد(ت:٧٥)

ب/الاتجاه الخاص ويمثله تلامذة الامامين محمد الباقر عليه السلام وجعفر الصادق عليه السلام وقد نشأت عنه طبقتان طبقة الرواة ومنهم زرارة بن أعين ،ومحمد بن مسلم ،والاخرى طبقة المؤلفين وهم الذين ابقوا أثرا تفسيريا معتمدا على رأي اهل البيت ومنهم فرات بن ابراهيم الكوفي ،وابو حمزة الثمالي وغيرهم [٧٩]

ان هذه المدارس الثلاث فيما عهد بها من أصالة قد تم تدوين آثارها دون تمييز بين مذاهبها التفسيرية ،الا أن أغلب هذه المدونات لم تصل الينا

---

[٧٧] التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب للسيد هادي معرفة (١٨٢/١)تاريخ دمشق لابن عساكر (٥١/٣)

[٧٨] البرهان في علوم القران (١٥٧/٢)

[٧٩] المبادئ العامة لتفسير القران بين النظرية والتطبيق (ص:١٣٩)

متكاملة بل متناثرة هنا وهناك على شكل روايات في كتب التفسير الاخرى وباستثناء ما كتب مقاتل بن سليمان وفرات بن ابراهيم الكوفي ، ومحمد بن مسعود العياشي الكوفي ،وبعض قطع من تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت:٢١١)وتفسير سفيان الثوري وقد طبع حديثا في الهند ،وتفسير علي بن ابراهيم المعروف بتفسير القمي [٨٠]

وكذلك ظهرت في مطلع القرن الرابع حركة تفسيرية كبرى بلغت حد النضج وبرزت تفاسير مستقلة قائمة بذاتها تناولت التفسير بالمأثور ،وتعرضت للاستشهاد بالشعر ،والاعراب ،وكذلك الاستنباط الفقهي ،وتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض ومن اشهر هذه التفاسير :

١- تفسير جامع البيان في تأويل أي القران لابن جرير الطبري (ت:٣١٠)
٢- تفسير التبيان في تفسير القران للشيخ احمد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠)
٣- تفسير مجمع البيان للطبرسي (ت:٥٤٨)
٤- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل للزمخشري (ت:٥٣٨)
٥- تفسير مفاتيح الغيب او التفسير الكبير للرازي (٦٠٦)
٦- تفسير الجامع لأحكام القران للقرطبي (٦٧١)

مرحلة الرابعة : الركود والتقليد

بانتهاء القرن السادس توقفت حركة الابداع في التفسير ،وبدأ دور التقليد والجمود حيث شرع المفسرون في هذه الفترة يتجهون الى نقل الاقوال المأثورة عن اسلافهم من المفسرين دون ان ينسبوها الى قائليها مختصرين في ذلك الاسانيد فكان هذا ايذانا بفتح الباب على مصراعيه لدخول الوضع [٨١] قال حاجي خليفة "ثم ألف في التفسير طائفة من المتأخرين: فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتراء، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من سنح له قول يورده، ومن خطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك خلف عن سلف، ظانا أن له أصلا، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن هم القدوة في هذا الباب. قال السيوطي: رأيت في تفسير قوله - سبحانه وتعالى -: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ، نحو: عشرة أقول، مع أن الوارد

---

[٨٠] المبادئ العامة لتفسير القران بين النظرية والتطبيق (ص:١٤٠)
[٨١] - مباحث في علم التفسير (١٢٩)

عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ -، وجميع الصحابة، والتابعين: ليس غير اليهود والنصارى. حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في هذا اختلافا من المفسرين"[٨٢]،وظهرت المختصرات في علم التفسير لان تفاسير مرحلة التأصيل تمتاز بالشمول والسعة ولم يظهر مفسرا ذكيا يجمع بين التفسير العقلي والنقلي غير ابي الثناء الالوسي (ت:١٢٧٠)

المرحلة الخامسة :مرحلة التجديد

في القران الرابع عشر الهجري انطلقت الاصوات الخيرة في البلاد العربية والاسلامية ،داعية الى التجديد في تفسير القران ،وطرح ما هو جديد على الساحة الثقافية والادبية من خلال تطوير عملية التفسير وبرزت في اتجاهين :

الاتجاه الاول :وقد نادى به الاستاذ محمد عبده ،ومحمد جواد البلاغي ،ومحمد رشيد رضا، وطنطاوي جوهري ،فعبدة ورضا والبلاغي بملحظ التجديد ومسايرة الحضارة والمدنية، اخضعوا التفسير للمفهوم الاجتماعي ولحاجات العصر ،وجوهري بملحظ مواكبة العلم الحديث اخضعه للعلوم الصناعية والمكتشفات فكان تجديدهما بهذا الاسلوب فيه كثير من النظر على أن المقارنة بين النهجين غير سليمة في حدود فخطوة البلاغي والاستاذ محمد عبدة فيما يبدو خطوة جليلة القدر بعيدة الاثر في تحبيب الاسلام للنفوس وتيسير القران بقدر المستطاع لحل المشكلات المعاصرة بعد أن ابتعد المسلمون عن الاسلام بينما طنطاوي يخضع أغلب آيات القران الكريم لمفهوم العلم الحديث وهو نهج فيه كثير من التجوز وخليط من جزاف القول فالقران كتاب هدية ورشاد وتوجيه وليس كتابا لخوض مجاهيل العلم الصناعي أو الاستكشافات الجغرافية والرياضي وهذا العلم الصناعي على تعدد جوانبه وكثرة شعبه ومداليله ،يعطي النظرية العلمية اليوم وينفيها غدا [٨٣]

الاتجاه الثاني :وهو الذي نادى به كثير من العلماء والمفكرين والاسلاميين ،والذي اكد عليه الاستاذ أمين الخولي رحمه الله وذلك بالتوجه لدراسة القران أدبيا وفنيا [٨٤]

---

[٨٢] - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ٤٢٧)

[٨٣] المبادئ العامة لتفسير القران (ص:١٤٥)

[٨٤] ينظر دار المعارف الاسلامية مادة تفسير (٣٦٦-٣٦٧)

وذكر بعض اهل العلم أن حركة التجديد تبلورت هذه المرحلة على يد السيد جمال الدين الافغاني [٨٥] ،وبعد وفاة الافغاني حمل لواء الاصلاح تلميذه الشيخ محمد عبدة

ابرز اسس التجديد التي وضعها محمد عبدة :

١- محاربة التقليد الذي جعل الامة عاجزة عن ان تواجه تيار الحياة المتجددة
٢- اعمال العقل في تفسير النص القرآني
٣- ترك العلوم والمصطلحات في التفسير ،والنظر الى القران الكريم من حيث هو كتاب هداية
٤- الاستفادة من العلوم الحديثة في التفسير
٥- انكار الروايات الاسرائيلية الكاذبة

اشهر تلاميذ الشيخ محمد عبدة :

١- الشيخ احمد مصطفى المراغي
٢- الشيخ عبد القادر المغربي صاحب تفسير جزء تبارك

ابرز مظاهر التجديد في العصر الحديث:

١- ظهور الاتجاه العلمي في التفسير واشهر من اهتم به الشيخ طنطاوي جوهري ،واحمد الغمراوي ،وحنفي احمد ،وغيرهم
٢- ظهور التفسير الموضوعي
٣- ظهور اللون الادبي والاجتماعي [٨٦]

---

[٨٥] - هو " جمال الدين بن صفدر واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية، وكان يعرف اللغات الافغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنسية ويلم باللغتين الانكليزية والروسية ولد بقرية أسد آباد من أعمال همذان في شعبان، وسافر إلى الهند وتلقى العلوم العقلية والنقلية، ورحل إلى الحجاز، ثم عاد فأقام بكابل، وانتظم في سلك رجال الحكومة ثم رحل إلى القسطنطينية، فنصب عضوا في مجلس المعارف، ثم قصد مصر، فنفخ فيها روح نهضة اصلاحية في الدين والسياسة، ونفته الحكومة المصرية، فقصد باريس، وانشأ فيها مع رفيقه محمد عبده المصري جريدة العروة الوثقى، ورحل رحلات طويلة، ثم دعي إلى القسطنطينية، وتوفي بها في ٩ آذار، ونقل رفاته سنة ١٣٦٤ هـ فدفن في بلده "معجم المؤلفين ٣/ ١٥٤
" ومرض بعد هذا بالسرطان، في فكه، ويقال: دس له السم. وتوفي بالآستانة. وإذا تكلم بالعربية فلغته الفصحى "الأعلام للزركلي ٦/ ١٦٩

[٨٦] ينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب للسيد محمد هادي معرفة (١٠٠٠/٢)

المحاضرة السابعة والثامنة والتاسعة

آداب التفسير ،العلوم التي يحتاج اليها المفسر

لقد تحدث الاستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير عن هذه الآداب والعلوم واطال النفس حولها في كتابه القيم (المبادئ العامة لتفسير القران الكريم بين النظرية والتطبيق)وهو أستاذ الدراسات القرآنية في جامعة الكوفة ،ويمكن بيان تلك الآداب والعلوم وعلى النحو الاتي :

اولا :الآداب الموضوعية

يمكن بيانها بالاتي :

١- الايمان اذ يجب على المفسر ان يؤمن بكل جوارحه انه امام اقدس كتاب عرفه الوجود وان الله تعالى انزله لهدف سام هو هداية الناس الى الحق للوصول الى السعادة في الدنيا والاخرة [٨٧]وأن القران جاء لوحدة الامة ،وجمع المسلمين ،ولم الشعث ،ورأب الصدع ،وتوحيد الكلمة ،وهي مفردات حيوية قام على أساسها القران وتفتحت به آياته فهو اذا أمام أمانة يأبى حملها الا المخلصون ممن شرحوا بالقران صدرا وتفتحوا للإسلام مناخا [٨٨]

٢- التفكر والتدبر واعمال الفكر في تفسير آيات القران الكريم [٨٩]

٣- ومن جملة الآداب الموضوعية رفض المفسر كل الحركات الدينية والمذهب الفلسفية والتفسيرات المنسوبة الى طائفة من الزنادقة التي ما قالوا بها الا لتعطيل احكام الشريعة

٤- وهنالك ملحظ آخر جدير بالأهمية الا وهو الحفاظ على سلامة اللغة العربية من التدهور والتشويه والضياع فهي لغة كتاب مقدس والحفاظ عليها يرتبط بالحفاظ على هذا الكتاب تأريخيا ،ان الموضوعية باختصار ادراك المسؤولية الكبرى التي يضطلع بها

---

[٨٧] ينظر مباحث في علوم القران (٧٥)وما بعدها بتصرف كبير

[٨٨] المبادئ العامة لتفسير القران (ص:٣٧)

[٨٩] ينظر مباحث في علوم القران (٧٥)وما بعدها بتصرف كبير

المفسر فلا يحيد عنها جاعلا الله نصب عينيه فلا ينحو بكتابه منحى استحسانيا ،ولا يذهب به مذهبا ذاتيا وانما يكشف به مراد الله قدر المستطاع ليس غير[٩٠]

٥- ان الموضوعية في تفسير القران شرط أساسي وليس احترازيا فهو أساسي لتلقي معاني القران كما أرادها الله تعالى ،وهو احترازي من النزوع الى الهوى والاغراق في الخيال ،والتعرض لشطحات الميول فالمتلقي يريد معرفة هذا النص على حقيقته والغوص الى أعماقه والمفسر الحق هو الباحث الذي يحقق هذه الرغبة الملحة ،وينهض بهذه المهمة الصعبة متطلعا الى الاسرار القرآنية ناصعة أنيقة ،ليحوز رضا الله تعالى ويظفر بإقبال الناس ويبلغ هدفه الأسنى[٩١]

ثانيا :الآداب النفسية

من الآداب المهمة التي يجب ان يتصف بها المفسر هي الآداب النفسية " والمراد بالآداب النفسية مجموعة الصفات والملكات التي يتنامى بها الكمال الذاتي في تهذيب النفس وصيانتها عن الزيغ والانحراف بحيث يطمئن معها الى الجانب الروحي عند الانسان فضلا عما يتمتع به من حيطة وحذر ، وما يناسب ذلك اصلاح السريرة ولزوم الطاعة ونقاء الضمير مما يهيء للنفس التدبر في القران والتفكر في أسراره من صحة الاعتقاد ،واخلاص النية وتفويض الامور الى الله ،وطلب العون في مجال المعرفة والاستزادة العلمية"[٩٢]

ويمكن بيان الآداب النفسية من خلال النقاط الاتية :

---

[٩٠] المبادئ العامة لتفسير القران للصغير (ص:٤١)

[٩١] المبادئ العامة لتفسير القران الكريم بين النظرية والتطبيق الدكتور محمد حسين علي الصغير (ص:٣٨)

[٩٢] المبادئ العامة لتفسير القران بين النظرية والتطبيق الدكتور محمد حسين علي الصغير (ص:٤١)

١-قال الإمام أبو طالب الطبري في أوائل تفسيره القول في أدوات المفسر اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين فإن من كان مغموصا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤتمن من الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ولأنه لا يؤمن إن كان متهما بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويغر الناس بليه وخداعه" [٩٣]

وقد اشار أمير المؤمنين علي عليه السلام الى هذه الحقيقة في وقت مبكر فقال "وعليكم بكتاب الله فانه الحبل المتين ،والنور المبين ،والشفاء النافع ،والراي الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق من قال به صدق ومن عمل به سبق"[٩٤]

٢-الاخلاص وهو ادب رفيع فالورع عن المعاصي والزهد في الدنيا والتوجه نحو الله في السراء والضراء فعن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال "من تعلم العلم ،وعمل به ،وعلم لله دعي في ملكوت السماوات عظيما فقيل تعلم لله وعمل الله وعلم لله "[٩٥] ،وروي عن الامام جعفر الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام قال :"قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ألا أن من زهد في الدنيا ،وقصر فيها أمله ،أعطاه الله علما بغير تعلم ،وهديا بغير هداية ،ومن رغب في الدنيا وطال فيها أمله :أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها "[٩٦]

٣-ومن شرطه صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد فقد قال تعالى { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا } وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى عرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئا من عدة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام [٩٧]

٤-التدبر والتفكر ،ان تفسير القران بحاجة الى تدبر عميق وتفكير دقيق وفهم سديد لأدراك ما في القران من اسرار ،والوصول الى ما

---

[٩٣] - الإتقان في علوم القرآن ط الهيئة المصرية العامة(٦/ ٢٢٧٥)
[٩٤] نهج البلاغة (٢٠٣/٩)
[٩٥] الكافي للكليني (٣٥/١)،والمبادئ العامة لتفسير القران (ص:٤٣)
[٩٦] المبادئ العامة لتفسير القران (ص:٤٤)
[٩٧] - الإتقان في علوم القرآن ط الهيئة المصرية العامة (٦/ ٢٢٧٦)

حواه من حكم تكمن وراء كل تشريع وتوجيه وهذه الحكم والاسرار لا تبدو الا للمتدبر الفاقه والمتفكر البصير "[٩٨]
أَصِلُ الْوُقُوفَ عَلَى مَعَانِي الْقُرْآنِ التَّدَبُّرُ وَالتَّفَكُّرُ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لِلنَّاظِرِ فَهْمُ مَعَانِي الْوَحْيِ حَقِيقَةً وَلَا يَظْهَرُ لَهُ أَسْرَارُ الْعِلْمِ مِنْ غَيْبِ الْمَعْرِفَةِ وَفِي قَلْبِهِ بِدْعَةٌ أَوْ إِصْرَارٌ عَلَى ذَنْبٍ أَوْ فِي قَلْبِهِ كِبْرٌ أَوْ هَوًى أَوْ حُبُّ الدُّنْيَا أَوْ يَكُونُ غَيْرَ مُتَحَقِّقِ الْإِيمَانِ أَوْ ضَعِيفَ التَّحْقِيقِ أَوْ مُعْتَمِدًا عَلَى قَوْلِ مُفَسِّرٍ لَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا عِلْمٌ بِظَاهِرٍ أَوْ يَكُونُ رَاجِعًا إِلَى مَعْقُولِهِ وَهَذِهِ كُلُّهَا حُجُبٌ وموانع وبعضها آكد من بعض"[٩٩]

٥- علم الموهبة ثمرة من ثمرات التقوى، والتقوى لها معنيان: معنى نفسي وهو: خشية الله ومراقبته في السر والعلن، وهذا هو ما أراده النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: "التقوى ههنا" ثلاثا، وأشار إلى صدره، رواه مسلم، ومعنى ظاهري، وهو الاستقامة على الدين، وذلك بامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، وقد تسمو بصاحبها، فتصل به إلى حد فعل النوافل والمستحبات أيضا، واتباع مكارم الأخلاق، وتوقي الشبهات، خشية الوقوع في المآثم والمحرمات، والتقوى بمعنييها لا بد منها لمن يتصدى لشرح كتاب الله، وفي هذا المعنى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} أي معنى في القلب يفرق به بين الحق والباطل .وليتمثل المفسر لكتاب الله أنه يفسر كلامًا لا ككلام الناس، وأنه قائم بين يدي الله الواحد، الأحد، الجبار، الكبير، المتعال، المنتقم وأن أي تقصير، أو تساهل فيه، يعتبر كذبا على الله، وافتراءً عليه"[١٠٠] ،وعلم الموهبة: هو علم يُورثه الله تعالى - لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {واتقوا الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله}[١٠١]،وبقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ وَرَّثَهُ اللَّهُ مَا لَمْ يَعْلَمْ"[١٠٢]

وهؤلاء أئمة اهل البيت عليهم السلام هم معدن العلم ،ومهبط الوحي احتاج الناس الى علمهم وما احتاجوا الى احد ،وقد ملاوا الدنيا فقها وعلما وحديثا ،اجابوا عن كل مسالة ،وحلوا كل

---

[٩٨] - مباحث في علم التفسير (٨٦)
[٩٩] البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٨٠)
[١٠٠] - الإسرائيليات والموضوعات (٣٦)، تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٣٩)
[١٠١] - سورة البقرة الآية (٢٨٢)
[١٠٢] -الحديث اخرجه ابو نعيم في ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(١٠/ ١٥) لفوائد المجموعة ص: (٢٨٦)

مشكلة ووقفوا كالجبل الاشم ينشرون المعارف ويثقفون المواهب ، كالبحر الذي لا تدرك اعماقه ولا تبدو سواحله وما علمهم هذا الا عصارة الهية ومنحة ربانية وخلاصة سماوية وهو نوع من العلم اللدني او هو من الباب الذي علمه رسول الله عليا فعلمه ابناءه الطاهرين ،وكلاهما موهبة من الله وايحاء السماء "[١٠٣]

ثالثا : الآداب والعلوم الفنية

ويقصد بالآداب الفنية تلك العلوم التي لا بد لكل مفسر ان يستكملها والا وجب عليه الكف عن التفسير ،لأنه لا يحل لكل مسلم ان يفسر القران الكريم الا اذا كان عالما متمكنا من اسباب التفسير ومقوماته حتى لا يكون تفسيره مفسدا لمراد الله ،وعرفها الدكتور محمد حسين فقال "هي مجموعة الفنون والطاقات التي يتذرع بها المفسر لخوض لجج التفسير ،فهي أدواته وآلاته ،وهي قدراته وملكاته "[١٠٤]

قال الزركشي " الَّذِي يَجِبُ عَلَى الْمُفَسِّرِ الْبَدَاءَةُ بِهِ الْعُلُومُ اللَّفْظِيَّةُ وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ الْبَدَاءَةُ بِهِ مِنْهَا تَحْقِيقُ الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ فَتَحْصِيلُ مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ مِنْ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ مَنْ أَوَائِلِ الْمَعَادِنِ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُدْرِكَ مَعَانِيَهُ وَهُوَ كَتَحْصِيلِ اللَّبِنِ مِنْ أَوَائِلِ الْمَعَادِنِ فِي بِنَاءِ مَا يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَهُ"[١٠٥]

وفيما يلي اهم تلك الشروط والعلوم والآداب التي يجب ان يحيط بها المفسر :

١ - علم اللغة: لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها، بحسب الوضع ويستطيع أن يعرف معاني الكلمات الغريبة في القرآن، ويكون في هذه المعرفة ملتزماً باللغة ومقاييسها وفقهها. قال مجاهد: (ت:١٠٤) "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"، وقال مالك " : الا اوتي برجل غير عالم بلغات العرب

---

[١٠٣] - المبادئ العامة لتفسير القران (٤٨)
[١٠٤] - المبادئ العامة لتفسير القران (٤٨)
[١٠٥] البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٧٣)

يفسر ذلك الا جعلته نكالا " [١٠٦] ، ثم إنه لا بد من التوسع والتبحر في ذلك، لأن اليسير لا يكفى، إذ ربما كان اللفظ مشتركاً، والمفسِّر يعلم أحد المعنيين ويخفى عليه الآخر، وقد يكون هو المراد " ، ومن امثلة ذلك قوله تعالى :(لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)[١٠٧] ،لفظة الطاهر الواردة في الآية مشتركة بين معان عدة فيطلق ويراد به الطاهر من الحدث الاكبر كما يطلق ويراد به الطاهر من الحدث الاصغر كما يطلق ويراد به المؤمن وكما يطلق ويراد به من ليس على بدنه نجاسة [١٠٨] ، فلفظة طاهر مشتركة في اللغة العربية وضعت لعدة معان ولا يمكن معرفة المراد منها الا بمعرفة القرائن المحيطة باللفظ " [١٠٩]

٢ - علم النحو : فمعرفة علم النحو من ضروريات المفسر " ومن لم يعرف النحو فربما يقع في أخطاء فاحشة، قد تؤدي إلى الكفر، ومثل ذلك الرجل [١١٠] الذي قرأ قوله تعالى: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)[١١١] " بجر "رسوله" فكاد يقع في الكفر وهو لا يعلم، فكان هذا من الأسباب الحاملة على وضع علم النحو"[١١٢] ومن شدة عناية المفسرين بموضوع النحو والاعراب افردوا له بابا تحت عنوان ، ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه والحث عليه ، وثواب من قرأ القرآن مُعْربا ، وروى جويبر عن الضحاك قال قال عبدالله بن مسعود : جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربي والله يحب أن يعرب به[١١٣]

٣-علم الصرف: وبواسطته تُعرف الأبنية والصيغ. قَالَ تَعَالَى: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حطبا }[١١٤] " الْقَاسِطُونَ : الكافرون الجائرون عن

---

١٠٦ - شعب الإيمان(٣/ ٥٤٣)

١٠٧ - سورة الواقعة الآية (٧٩)

١٠٨ - ينظر : تفسير الألوسي = روح المعاني (١٤/ ١٥٣)

١٠٩ - مباحث في علم التفسير (٩١)

١١٠ - "قِصَّةٍ طَرِيفَةٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ رَجُلًا قَرَأَ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ- بِجَرِّ وَرَسُولِهِ- فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: إِنْ كَانَ اللَّهُ بَرِيئًا مِنْ رَسُولِهِ فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ. وَإِنَّمَا أَرَادَ التَّوَرُّكَ عَلَى الْقَارِئِ، فَلَبَّبَهُ الرَّجُلُ إِلَى عُمَرَ، فَحَكَى الْأَعْرَابِيُّ قِرَاءَتَهُ فَعِنْدَهَا أَمَرَ عُمَرُ بِتَعَلُّمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَرُوِيَ- أَيْضًا- أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ سَمِعَ ذَلِكَ فَرَفَعَ الْأَمْرَ إِلَى عَلِيٍّ. فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَضْعِ النَّحْوِ، وَقَدْ ذُكِرَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي بَعْضِ كُتُبِ النَّحْوِ فِي ذِكْرِ سَبَبِ وَضْعِ عِلْمِ النَّحْوِ" التحرير والتنوير(١٠/ ١٠٩)

١١١ - سورة التوبة الآية (٣)

١١٢ - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص:(٣٢)

١١٣ - النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٠ ،الجامع لأحكام القرآن(١/ ٢٣)

١١٤ - سورة الجن الآية (١٤)

طريق الحق "[١١٥] ،وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}" أي أعدلوا إن الله يحب العادلين"[١١٦]

٤-الاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف باختلافهما، كالمسيح مثلاً، هل هو من السياحة أو من المسح ، وادم عليه السلام هل مشتق من الادمة ام من اديم الارض قال القرطبي " الصحيح أنه مشتق من أديم الأرض. قال سعيد بن جبير : إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض "[١١٧] والاسم من (بسم الله)هل هو مشتق من السمو ام من السمة واختلفوا في اشتقاق الاسم، على وجهين: احدهما : أنه مشتق من السمو ، وهي الرفعة والعلو لأن الاسم يسمو بالمسمى الثاني : أنه مشتق من السمة ، وهي العلامة ، لما في الاسم من تمييز المسمى ، وهذا قول الفرَّاء. " [١١٨]

٥ - علوم البلاغة: حتى يقف على طرفٍ من بلاغة القرآن ووجوه إعجازه، ومظاهر بيانه وجماله، وأساليب أدائه، وألوان تأثيره. علوم البلاغة الثلاثة "المعاني، والبيان، والبديع": فعلم المعاني، يُعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وعلم البيان، يُعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وعلم البديع، يُعرب به وجوه تحسين الكلام.. وهذه العلوم الثلاثة من أعظم أركان المفسِّر [١١٩]

٦-علم الناسخ والمنسوخ يروى أن امير المؤمنين علي عليه السلام مر بِرَجُلٍ يَقُصُّ فَقَالَ «أَعَرَفْتَ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ» قَالَ: لَا قَالَ: «هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ»[١٢٠]، وغيرها من هذه العلوم اكتفينا بما تقدم ومن الجدير بالاهتمام أن أول من أشار الى هذه العلوم هو أمير المؤمنين علي

---

[١١٥] - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل(٤/ ٦٣٠)
[١١٦] - تفسير فتح القدير (٥/ ٦٣)
[١١٧] - الجامع لأحكام القرآن(١/ ٢٧٩)
[١١٨] - النكت والعيون(١/ ٤٨)
[١١٩] ينظر :المبادئ العامة لتفسير القران بين النظرية والتطبيق الدكتور محمد حسين علي الصغير (٥٠)
[١٢٠] الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص: ٤٩)

عليه السلام فقد تحدث عما خلفه النبي عليه الصلاة والسلام فقال "وخلفت فيكم ما خلفت الانبياء في أممهم اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا عمل قائم كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه ،وفرائضه وفضائله ،وناسخه ومنسوخه ،ورخصه ،وعزائمه ،وخاصه وعامه ،وعبره وأمثاله ،ومرسله ومحدده، ومحكمه ومتشابه ،مفسرا مجمله ،ومبينا غوامضه [١٢١] ،وهذا التقسيم عجيب في أدائه ،فقد بين به سنن القران وفرائضه ولله دره من متمرس بعلوم القرآن فهو معدن مصطلحاتها منذ عهد مبكر ومبرمج صنوفها حين استعصى على غيره تمييزها وتقعيدها [١٢٢]

- فالحلال والحرام فالحلال ما أباحه الله لعباده كالبيع والحرام ما حضره عليهم كالربا {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}[١٢٣]
- فضائله وفرائضه فالفضائل النوافل والفرائض كالصلوات الخمس
- ناسخة ومنسوخه والمراد به احلال حكم مكان حكم لمصلحة معلومة أو مجهولة يقررها الشارع المقدس
- رخصه وعزائمه فالرخص ما أباحه عند الضرورة كقوله تعالى (فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[١٢٤] ،والعزائم كقوله تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إلا الله}[١٢٥]،وغيرها[١٢٦]

---

[١٢١] نهج البلاغة (١١٦/١) وينظر المبادئ العامة لتفسير القران (ص:٥٤)
[١٢٢] المبادئ العامة لتفسير القران(ص:٥٠)
[١٢٣] سورة البقرة الآية (٢٧٥)
[١٢٤] سورة المائدة الآية (٣)
[١٢٥] سورة محمد الآية (١٩)
[١٢٦] يمكن مراجعة تلك العلوم في كتاب اصول التفسير وقواعده خالد عبد الرحمن العك (ص:١٨٦)

المحاضرة العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة

المنهج الذي يجب على المفسر انتهاجه

اقسام التفسير عند العلماء القدامى والمحدثين

اولا : المنهج الذي يجب على المفسر انتهاجه

على المفسر أن ينهج في تفسيره منهجاً يراعى فيه القواعد الآتية، بحيث لا يحيد عنها، ولا يخرج عن نطاقها، وهذه القواعد هي ما يأتي:

أولاً: مطابقة التفسير للمفسَّر، من غير نقص لما يحتاج إليه في إيضاح المعنى، ولا زيادة لا تليق بالغرض ولا تناسب المقام، مع الاحتراز من كون التفسير فيه زيغ عن المعنى وعدول عن المراد.

ثانياً: مراعاة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فلعل المراد المجازي، فيحمل الكلام على الحقيقة أو العكس.

ثالثاً: مراعاة التأليف والغرض الذى سِيق له الكلام، والمؤاخاة بين المفردات.

رابعاً: مراعاة التناسب بين الآيات، فيبيِّن وجه المناسبة، ويربط بين السابق واللاحق من آيات القرآن، حتى يوضِّح أن القرآن لا تفكك فيه، وإنما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بحُجز بعض[١٢٧]

خامساً: ملاحظة أسباب النزول. فكل آية نزلت على سبب فلا بد من ذكره بعد بيان المناسبة وقبل الدخول في شرح الآية، وقد ذكر السيوطي في الإتقان أن الزركشي قال في أوائل البرهان: "قد جرت عادة المفسِّرين أن يبدأوا بذكر سبب النزول، ووقع البحث في أنه: أيهما أولى بالبداءة؟ أيُبدأ بذكر السبب، أو بالمناسبة لأنها المصحِّحة لنظم الكلام، وهى سابقة على النزول؟ قال: والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآية {إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأمانات إلى أَهْلِهَا} [١٢٨] .. فهذا

---

[١٢٧] - ينظر : الإتقان في علوم القرآن ط الهيئة المصرية العامة(٦/ ٢٣١٦)

[١٢٨] - سورة النساء: الآية (٥٨)

ينبغي فيه تقديم ذكر السبب، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد. وإن لم يتوقف على ذلك، فالأَوْلى تقديم وجه المناسبة".

سادساً: بعد الفراغ من ذكر المناسبة وسبب النزول. يبدأ بما يتعلق بالألفاظ المفردة - من اللغة، والصرف، والاشتقاق - ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبيِّن المعنى المراد، ثم يستنبط ما يمكن استنباطه من الآية في حدود القوانين الشرعية.

سابعاً: على المفسِّر أن يتجنب ادعاء التكرار في القرآن ما أمكن ،وعلى المفسِّر أيضاً أن يتجنب كل ما يُعتبر من قبيل الحشو في التفسير كالخوض في ذكر علل النحو، ودلائل مسائل أصول الفقه، ودلائل مسائل الفقه، ودلائل مسائل أصول الدين، فإن كل ذلك مقرر في تأليف هذه العلوم، وإنما يؤخذ ذلك مسلَّماً في علم التفسير دون استدلال عليه.
وكذلك على المفسِّر أن يتجنب ذكر ما لا يصح من أسباب النزول وأحاديث الفضائل، والقَصص الموضوع، والأخبار الإسرائيلية، فإن هذا مما يُذهِب بجمال القرآن، ويُشغِل الناس عن التدبر والاعتبار.
ثامناً: على المفسِّر بعد كل هذا أن يكون يقظاً، فطناً عليماً بقانون الترجيح، حتى إذا ما كانت الآية محتملة لأكثر من وجه أمكنه أن يُرَجِّح ويختار. وإذا كان المفسِّر لا بد له من أن يحتكم إلى قانون الترجيح عندما تحتمل الآية أكثر من وجه"[١٢٩]

[١٢٩] - الإتقان في علوم القرآن ط الهيئة المصرية العامة (٦/ ٢٣٠٠)

ثانيا : اقسام التفسير عند العلماء القدامى والمحدثين

اولا : اقسام التفسير عند العلماء القدامى

التفسير عند العلماء القدامى على أربعة أوجه:

اولا : وجه تعرفه العرب من كلامها مثل الصدق ،والكذب ،والامانة ،والخيانة

ثانيا : وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته ،كوجوب الصلاة ،وحرمة الزنا والربا والخمر

ثالثا :وتفسير تعرفه العلماء ،كاستنباط الاحكام واستخراج الدلالات من الآيات ،

رابعا :وتفسير لا يعلمه إلا الله كوقت قيام الساعة ،وكيفية وقوع مشاهدها ،كالانفطار ،والانشقاق ،والتكوير

وبدهي أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم يفسِّر لهم ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب، لأن القرآن نزل بلغتهم، ولم يفسِّر لهم ما تتبادر الأفهام إلى معرفته وهو الذى لا يُعرفه أحد بجهله، لأنه لا يخفى على أحد، ولم يفسِّر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وغير ذلك من كل ما يجرى مجرى الغيوب التي لم يُطلع الله عليها نبيه، وإنما فسَّر لهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم وأطلعه عليها وأمره ببيانها لهم، وفسَّر لهم أيضاً كثيراً مما يندرج تحت القسم الثالث، وهو ما يعلمه العلماء يرجع إلى اجتهادهم، كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك من كل ما خفى معناه والتبس المراد به .هذا.. وإنَّ مما يؤيد أن النبي عليه واله الصلاة والسلام لم يُفسِّر كل معانى القرآن، أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقع بينهم الاختلاف في تأويل بعض

الآيات، ولو كان عندهم فيه نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع هذا الاختلاف، أو لارتفع بعد الوقوف على النص"

ثانيا : اقسام التفسير عند العلماء المحدثين

التفسير المعتدُّ به عند جمهور العلماء ينقسم إلى قسمين :
الأول: التفسير بالمأثور.
الثاني: التفسير بالرأي

القسم الأول :التفسير بالمأثور
للتفسير بالمأثور اسمان :التفسير بالمأثور ،والتفسير ألنقلي
المأثور في اللغة :المأثور اسم مفعول بمعنى المنقول "[١٣٠]
وعرفه هادي معرفة في الاصطلاح فقال "هو تفسير القران بما جاء في القران نفسه من البيان والتفصيل ،ثم على ما نقل عن المعصوم النبي صلى الله عليه واله وسلم أو الائمة من عترته الطيبين عليهم السلام وعلى المأثور من الصحابة الاخيار والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم "[١٣١]

فالتفسير بالمأثور يقوم على اسس منها تفسير القران بالقران ومن قبيل هذا النوع قوله تعالى في سورة الفاتحة (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ، لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ. وَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ: (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)[١٣٢]

الاساس الثاني تفسير القران بالسنة ومن قبيل ذلك ما روي عن ابن مسعود قال "لَمَّا نَزَلَتْ {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}[١٣٣] ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: " لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ {لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

---

[١٣٠] - المعجم الوسيط (١/ ٥)

[١٣١] التفسير والمفسرون للسيد هادي معرفة (٥٣٨/٢)
[١٣٢] - سورة النساء الآية(٦٩)
[١٣٣] - سورة الأنعام الآية (٨٢)

بِظُلْمٍ}بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "[١٣٤]

الاساس الثالث تفسير القران بأقوال اهل البيت عليهم السلام فالرجوع الى اقوال اهل البيت في التفسير امر مهم بالنسبة للمفسر ،لان اقوالهم مقدمة على غيرها من الاقوال ،فاذا تعارضت الاقوال وكان من ضمن الاقوال المتعارضة قول لأهل البيت وجب الاعتماد عليه والمصير اليه ومن اراد المزيد فليرجع الى تفسير الطبري ومن امثلة ذلك ما روي عن سيدنا علي عليه السلام قال تعالى (واتموا الحج والعمرة لله)فقال اتمامها ان تحرم بها من دويرة اهلك

الاساس الرابع تفسير القران بأقوال التابعين للتابعين دور كبير في تفسير القران الكريم ومن امثلة تفسير التابعين ما رواه الرضا عن ابيه عبد الله عليه السلام قال تعالى (والمستغفرين بالأسحار)فقال أي المصلين وقت السحر[١٣٥]،ومنها ما روي عن الامامين محمد الباقر ،وجعفر الصادق عليهما السلام من روايات تفسيرية وهي كثيرة جدا

اهم كتب التفسير بالمأثور

١- تفسير جامع البيان في تأويل أي القران لابن جرير الطبري (٣١٠)
٢- تفسير القران العظيم لابن كثير (٧٧٤)
٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٩١١)
٤- المحرر الوجيز لابن عطية (٥٤٦)
٥- والتبيان في تفسير القران للطوسي (٤٦٠)

[١٣٤] - صحيح البخاري(٤/ ١٤١)،رقم (٣٣٦٠)

[١٣٥] - مجمع البيان للطبرسي (٤١٩/١)

اسباب الضعف بالمأثور

يمكن اجمال تلك الاسباب بالنقاط الاتية

١- دخول الإسرائيليات[١٣٦] في كتب التفسير ،وذلك من خلال تساهل التابعين ،كقتادة ،ومسروق ،ومجاهد ،في الاخذ عن اهل الكتاب فكان في تفاسيرهم الصحيح والحسن والضعيف وقد علل ابن خلدون سبب دخول الاسرائيليات في كتب التفسير فقال " والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية. فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم "[١٣٧]،واغلب هذه الاسرائيليات تدور حول قصص الانبياء ،كقصة اصحاب الكهف ،ولون كلبهم ،وعددهم ،وعصا موسى من أي الشجر كانت ،واسما الطيور التي احياها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ،وكقصة سيدنا يوسف والثمن الذي بيع فيه وغيرها من القصص

٢- انقسام المسلمون[١٣٨] الى احزاب وظهرت الفرق المذهبية والخلافات السياسية

٣- ما دسه الزنادقة من اليهود من دسائس متسترين بالإسلام ويضمرون له الشر والكيد "قال حماد بن زيد: "وضعت

---

[١٣٦] - والاسرائيليات :جمع مفردة اسرائيلية وهي كل ما تطرق الى التفسير والحديث من اساطير منسوبة الى اصل يهودي او نصراني ،ينظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص: ١٢)

[١٣٧] - مقدمة ابن خلدون (ص: ٢٥٢)

[١٣٨] - قال ابن بطة "وَقَدْ كَانَ لِلتَّعَصُّبِ اَلْمَذْهَبِيِّ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي اِنْقِسَامِ اَلْمُسْلِمِينَ وَانْتِشَارِ اَلْفِتَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَدْ طَعَنَ أَتْبَاعُ اَلْمَذَاهِبِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ وَانْتَقَصَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى وَصَلَ اَلْأَمْرُ إِلَى أَنْ حَرَّمَ اَلْأَحْنَافُ زَوَاجَ اَلْحَنَفِيِّ مِنْ شَافِعِيَّةٍ، ثُمَّ تَسَاهَلُوا فَجَوَّزُوا ذَلِكَ قِيَاسًا عَلَى نِسَاءِ أَهْلِ اَلْكِتَابِ، وَلَمْ يَجَوِّزُوا زَوَاجَ اَلشَّافِعِيِّ مِنْ حَنَفِيَّةٍ" متن كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة العنكبري (ص: ١٥)

الزنادقة أربعة عشر ألف حديث "[١٣٩] ،فكان لظهور ظاهرة الوضع في التفسير الاثر السيئ على التفسير بالمأثور فقد وضع المنحرفون روايات مختلقة منسوبة زورا وبهتانا الى شخص النبي الكريم[١٤٠] والى اعلام اهل التفسير

٤- حذف الاسانيد ،للسند دور كبير في معرفة الروايات التفسيرية الصحيحة والضعيفة "لأنه اذا كانت الرواية مسندة فانه يسهل تخريجها والحكم لها بالصحة والحكم عليها بالضعف من خلال معرفة احوال رجال الاسناد من جرح وتعديل ،بالعودة الى كتب الرجال " [١٤١]

القسم الثاني :التفسير بالراي

ويسمى ايضا بالتفسير الاجتهادي وهو يعتمد العقل والنظر أكثر مما يعتمد النقل والاثر ليكون المناط في النقد والتمحيص هو دلالة العقل الرشيد والرأي السديد ،دون مجرد الاعتماد على المنقول من الاثار والاخبار [١٤٢]

التفسير بالراي لغة "(رأي) الراء والهمزة والياء أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة "[١٤٣] ، ويُطلق الرأي على الاعتقاد، وعلى

---

[١٣٩] - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: ٨٧ الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للكهنوي (ص: ١٢) الفوائد المجموعة (ص: ٤٢٦) اللآلي المصنوعة (٢/ ٣٨٩) الموضوعات (١/ ٣٧) تذكرة الموضوعات (ص: ٧) تنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ١١)

[١٤٠] - وَقَالَ الْبُدَخْشِيُّ فِي شَرْحِ الْمِنْهَاجِ : مِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّ خُلِقَ رَبُّنَا فَقَالَ خَلَقَ خَيْلًا فَأَجْرَاهَا فَعَرِقَتْ فَخَلَقَ نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَرَقِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ ، وَمِنْهَا مَا وَقَعَ مِنْ الْغُلَاةِ الْمُتَعَصِّبِينَ فِي تَقْرِيرِ مَذْهَبِهِمْ وَرَدًّا عَلَى خُصُومِهِمْ كَمَا رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ { سَيَجِيءُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَقُولُونَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَمَنْ قَالَ ذَلِكَ كَفَرَ بِاَللَّهِ الْعَظِيمِ وَطَلُقَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ سَاعَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنَةٍ أَنْ تَكُونَ تَحْتَ كَافِرٍ } وَعَنْ جَهَلَةِ الْقُصَّاصِ تَرْقِيقًا لِقُلُوبِ الْعَوَامّ كَمَا سَمِعَ أَحْمَدُ وَيَحْيَى فِي مَسْجِدٍ عَنْ قَاصٍّ يَقُولُ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ عَنْ عَبْدِ الرَّازِقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ { مَنْ قَالَ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا طَيْرًا مِنْقَارُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَرِيشُهُ مِنْ مَرْجَانَ } حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٤/ ١٩١)

[١٤١] - وقد ذكر السيد هادي معرفة جميع تلك الآفات في كتابه التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب (٥٥٤/٢) واطال النفس حولها اذ كتب بحثا مفصلا في تلك الآفات

[١٤٢] التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب للسيد محمد هادي معرفة (٨٠٢/٢)

[١٤٣] - معجم مقاييس اللغة(٢/ ٤٧٢)

الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه: أصحاب الرأي: أي أصحاب القياس. والمراد بالرأي هنا "الاجتهاد"

التفسير بالرأي اصطلاحا :وهو "عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر"

كيف تبلور التفسير بالرأي

تبلور هذا النوع من التفسير على يد ابن عباس (ت:٦٨)حيث كان يعتمد على الشعر العربي في التفسير اللغوي وقد اثر عنه انه قال "سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[١٤٤] وقال ايضا "اذا تعاجم شيء من القران فانظروا في الشعر فان الشعر عربي " وقد اورد السيوطي (٩١١) في الاتقان معظم الاجوبة التي سأل عنها نافع بن الازرق ابن عباس مشفوعة بما يصدقها من شعر العرب " عن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به فقاما إليه فقالا إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس سلاني عما بدا لكما فقال نافع أخبرني قال أخبرني عن قوله { شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا }[١٤٥] قال الشرعة الدين والمنهاج الطريق قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت قول الشاعر وهو يقول :

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام دين ومنهاجا[١٤٦]

قال: يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل:(إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)[١٤٧] قال: نضجه. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت الشاعر وهو يقول:

---

[١٤٤] - الإتقان في علوم القرآن ط الهيئة المصرية العامة(٣/ ٨٤٨)

[١٤٥] - سورة المائدة الآية (٤٨)

[١٤٦] - الإتقان في علوم القرآن(٣/ ٨٤٩)

[١٤٧] - سورة الانعام الآية (٩٩)

إذا ما مشت وسط النّساء تأوّدت ...كما اهتزّ غصن ناعم النّبت يانع [١٤٨]

وكذلك اعتمد ابن عباس التفسير البياني كقوله تعالى :(كباسط كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) [١٤٩] فقال ابن عباس هذا مثل المشرك الذي عبد مع الله غيرَهُ، فمثّله كمثل الرَّجل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد، فهو يريد أن يتناوله ولا يقدر عليه [١٥٠]

وكذلك اعتمد ابن عباس على عادات العرب قبل الاسلام في تفسيره للقران الكريم كقوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا) [١٥١] عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا مات أبوه أو حميمه، فهو أحق بامرأته، إن شاء أمسكها، أو يحبسها حتى تفتدي منه بصداقها، أو تموت فيذهب بمالها[١٥٢]

وكانت المحاولات الاولى لهذا النوع من التفسير في القرن الثالث على يد شيخ المفسرين ابن جرير الطبري ،وذلك من خلال الترجيح بين الاقوال ،واعتماد اللغة ،وعادات العرب ،والاهتمام بمسائل النحو ،والاستنباطات الفقهية

ومن ابرز المدارس التي اعتمدت هذا النوع من التفسير هي مدرسة المعتزلة التي يراسها الزمخشري (ت:٥٣٨)

اسباب التوسع في هذا النوع من التفسير :

١- ان التفسير بالمأثور لم يغطي كل الآيات
٢- وذلك بسبب ضعف السليقة العربية واختلاط العرب بغيرهم من الامم
٣- تطور العلوم وتقدمها في عصرنا الحاضر

موقف العلماء من التفسير بالرأي:

اختلف العلماء من قديم الزمان في جواز تفسير القرآن بالرأي، ووقف المفسِّرون بإزاء هذا الموضوع موقفين متعارضين: وانقسموا في ذلك الى

---

[١٤٨] - مسائل نافع بن الأزرق (ص: ٣١)
[١٤٩] - سورة الرعد الآية (١٤)
[١٥٠] - تفسير الطبري (١٦/ ٤٠٢)
[١٥١] - سورة النساء الآية (١٩)
[١٥٢] - تفسير الطبري (٨/ ١٠٦)

فريقين فريق اجاز التفسير بالراي وفريق منع التفسير بالراي ،وفيما يلي عرض لأدلة كل فريق :

الفريق الاول :فريق المجوِّزين فقد استدلوا على ما ذهبوا إليه بالأدلة الاتية :

١- استدلوا من القران بنصوص كثيرة وردت في كتاب الله تعالى: منها قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ..} [١٥٣]وقوله: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ليدبروا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ الألباب} [١٥٤] ووجه الدلالة في هذه الآيات: أنه تعالى حَثَّ في الآيتين على تدبر القرآن والاعتبار بآياته، والاتعاظ بعظاته

٢- استدلوا بالحديث الذي دعا فيه النبي لابن عباس قالوا: إنَّ النبي صلى الله عليه واله وسلم دعا لابن عباس رضى الله عنهما، فقال في دعائه له: "اللَّهم فقهه في الدين، وعلِّمه التأويل"[١٥٥]

الفريق الثاني :أدلة القائلين بعدم جواز التفسير بالرأي والاجتهاد:

١- استدلوا بالقران الكريم بقوله تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [١٥٦]،وكذلك بقوله تعالى (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً)[١٥٧] ،فقالوا ان التفسير بالراي قول على الله بلا علم وهذا منهي عنه في القران فهو محرم

٢- استدلوا بالحديث فيما روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم أنه قال: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" [١٥٨]

٣- ما روي عن الامام علي عليه السلام انه "قَالَ لَوْ كَانَ الدِّينُ بالرأي لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلاَهُ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ"[١٥٩]

---

[١٥٣] - سورة محمد :الآية (٢٤)
[١٥٤] - سورة ص: الآية (٢٩)
١٥٥ - مسند أحمد (٥/ ٢١٥)،رقم الحديث (٣١٠٢)
[١٥٦] - سورة النساء الآية (٥٩)
[١٥٧] - سورة الاسراء الآية (٣٦)
[١٥٨] -سنن أبى داود (٣/ ٣٥٨)،رقم (٣٦٥٤)
[١٥٩] - سنن أبى داود (١/ ٦٣)،رقم (١٦٢)

٤- واما بأقوال التابعين فقد استدلوا بما روي عن الشعبي انه قال والله مَا مِن آية إلا وقد سألتُ عنها، ولكنها الروايةُ عن الله [١٦٠]

الراجح

جواز التفسير بالرأي والاجتهاد قال الالوسي (ت:١٢٧٠)" والعجب كل العجب مما يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني التراكيب ولم ينظر إلى اختلاف التفاسير وتنوعها ولم يعلم أن ما ورد عنه صلى الله تعالى عليه واله وسلم في ذلك كالكبريت الأحمر فالذي ينبغي أن يعول عليه أن من كان متبحرا في علم اللسان مترقيا منه إلى ذوق العرفان وله في رياض العلوم الدينية أوفى مرتع، وفي حياضها أصفى مكرع يدرك إعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد وقد غدا ذهنه لما أغلق من دقائق التحقيقات أحسن إقليد فذاك يجوز له أن يرتقي من علم التفسير ذروته ويمتطي منه صهوته، وأما من صرف عمره بوساوس أرسطا طاليس واختار شوك القنافذ على ريش الطواويس فهو بمعزل عن فهم غوامض الكتاب وإدراك ما تضمنه من العجب العجاب"[١٦١] ويرى الدكتور خالد العك ان هذا الخلاف لفظي لا حقيقي [١٦٢]

اهم كتب التفسير بالراي الجائز [١٦٣]

١-مفاتيح الغيب: للفخر الرازي (ت:٦٠٦)

٢ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي (ت:٦٨٥)وغيرها ٠

---

[١٦٠] - الاثر ورد في تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١/ ٨٧)

[١٦١] - تفسير الألوسي (١/٧، ٨)

[١٦٢] اصول التفسير وقواعده خالد العك (ص:١٧١)

[١٦٣] - مناهل العرفان للزرقاني(٢/ ٥٦)